مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(9)، العدد (1)، (جوان -2024)، ص 372-383
ISSN: 2602-5566 EISSN: 2716-8999

أثر فكر كونفشيوس في المجتمع الصيني

The impact of confucius thought on chinesse society

د.خوضر رياض*[1]

[1] جامعة محمد بوضياف-المسيلة (الجزائر)،E-mail riadkhouder21@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/02/08 تاريخ القبول:2024/05/13

ملخص:

تطرقت في هذا المقال إلى أثر كونفوشيوس على المجتمع الصيني من خلال العودة إلى الأصول الفلسفية لكونفوشيوس والتفكير السائد قبله. حيث بُني له من خلالها نسقا فلسفيا قائما على مجموعة من التعاليم الأخلاقية والسياسية التي كان لها الأثر الكبير في نفوس الصينيين؛كما خلف كونفوشيوس أثر سياسي كبير في المجتمع الصيني، وذلك من خلال إيمانهم بفكرة الدولة أو ما يسمى بالحكومة المثالية الصالحة، التي تحكمها شخصيات ذات أخلاق فاضلة، همها الوحيد خدمة الصالح العام وتحقيق المثل الأعلى في السلوك الحسن، وأن تكون هذه الحكومة هي أساس سعادة الفرد. وقد كان منشيوس من تلاميذ كونفوشيوس الأوائل وأشد تأثرا بفكر معلمه، حيث عمل على نشره وتعليمه للناس. كما كان هسون تزو أيضا من المتأثرين بفكر كونفوشيوس الذي قام بتعليمه للمريدين والتأكيد على أن تعاليم المعلم هي من تجمع الصينيين وتدفعهم نحو التطور، كما عمل الكونفوشيون الجدد على غرار تشاو يونج، والأخوان تشانج على فتح مدرسة جديدة تدرس تعاليم الكونفوشية وتجعل منها المبادئ الأساسية الحياة.

الكلمات المفتاحية: شك؛ فضيلة؛ كونفوشية؛ أخلاق؛ سياسة.

Abstract:

In this article,I touched on the impact of cnfucius's thought on chinesse society by returning to the philosophical origins of tConfucius,and the privaiting thinking before his through wich hé built a philosophical system for him based on a set of moral and political teachings that had a great inpact on the souls of the chinesse. Confucius also had a great political impact on society ,through their blief in the Idea of a state that adopts a good government governed by personalities with virtuos morals whose concern is to serve the public to be the ideal in behavior,and to be the basis of individual happines.

The influence of confucius on mencuis was clear as he worked to spread his teachings.he also a great influences on shaoyoungand the Cheng brothers thought their établishment of a new school in wich confician teachings were thought

Keywords: doubt; idéalisme; moral; confucianisme; virtuel.Politics.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة

إن المتتبع لحركة تطور الفكر الفلسفي، تستوقفه لا محالة عدة محطات حضارية كان العلم والفلسفة عمادها؛ حيث كان لهذين الأخيرين الفضل الكبير في تطور الأفراد والمجتمعات. ولعل أبرز هذه الحضارات حضارة الصين، هذه الحضارة التي كان بالغ اهتمامها ينصب أساسا على الجانبين الأخلاقي والسياسي، وذلك بغية إصلاح ذوات الأفراد والمجتمع. وقد حمل لواء الإصلاح الأخلاقي والسياسي والفكر بصفة عامة مجموعة من المفكرين، لعل أبرزهم على الإطلاق حكيم الصين كونفوشيوس، هذا الأخير الذي ارتكز فكره على التعاليم الأخلاقية والسياسية، وكل ما يهم الحياة العامة للمجتمع الصيني. وتعتبر التعاليم الكونفوشية وفكره الفلسفي المصدر الرئيسي للعديد من الفلسفات؛ إذ كان لها التأثير الكبير على المجتمع الصيني وباقي المجتمعات. ونظرا لأهمية هذا الفكر، فإننا بحاجة ماسة لهذه الأفكار في زمننا هذا أكثر من أي وقت مضى، خاصة ونحن في زمن انهيار القيم. إن هذه الأفكار تعد بحق نموذجا لإعادة التعادل لميزان القيم. ومن ثم، فإنه جدير بنا أن نطرح التساؤل التالي: ما هو الأثر الذي تركه الفكر الكونفوشي في المجتمع الصيني والمجتمعات الأخرى؟

2-التفكير الفلسفي الصيني قبل كونفوشيوس:

قبل الحديث عن التفكير الفلسفي عند كونفوشيوس وجب علينا التوقف عند الأصول الفلسفية لهذا التفكير، انطلاقا من المجتمع الصيني القديم وما يحمله من ثقافات، وعادات، وقيم خاصة وعامة. تلك القيم المرتبطة بالجانب الأخلاقي والسياسي التي خصها كونفوشيوس باهتمام كبير، وجعل منها اللبنة الأولى في بناء المجتمع الصيني وتطوره. فما هي أهم القيم والتعاليم التي كانت سائدة في المجتمع الصيني؟ وما هي آثارها على كونفوشيوس؟

اعتقد الصينيون منذ أقدم عصورهم أن الأحداث الكونية تتبع الأخلاق التي تسود الناس وسلوكهم، فكلما كان الاعتدال والانسجام والفضائل يسودان المعاملة بين الناس ويربطان العلاقات بينهم برباط المودة والرحمة، فالكون بهذا سائر في فلكه من غير اضطراب، فالإنسان مفطور على الخير عندهم، ولكنه مع الفطرة السليمة الخيرة هو حي مفكر مستقل، لا تمنع فطرته من النزوع إلى الشر وسلوك سبيله وهذا لإرادته المستقلة واختياره، واستيلاء الشهوات عليه. كما أنهم كانوا يذعنون لأحكام السماء، فيجعلون للإرادة الإنسانية الشأن الأول وذلك لأن الإرادة السماوية للخير أو الشر لها أثرها في هذا الكون. فالسماء عادلة وعدلها يجعل مشيئتها في الكون على حسب عمل الإنسان، إن خيرا فخير له وإن شر فشر له. لهذا اعتبر الخير عندهم هو طريق الاعتدال، فاللين من غير ضعف فضيلة، والرحمة مع المسيء فضيلة وهكذا كل الفضائل. (زهرة، 1991، صفحة 74)

إن الرحمة عند الصينيين هي صفة مفطورة فيهم، وهي الرابط الأساسي الذي يربط بين أفراد المجتمع؛ فالرحمة تجلب السعادة للفرد ومن ثم تحقيق سعادة كل المجتمع. إن إقرار المجتمع الصيني للرحمة كأساس لبناء العلاقات الإنسانية لا يعني بالضرورة التسامح والعفو الكلي والمطلق مع كل من أخطأ، ولكن سوف ينال كل فرد جزاؤه على قدر فعله. لكن تطبيق الجزاء يصاحبه الرفق والليونة مع المسيء، فمن الواجب حسب الصينيين أن نحقق السعادة للفرد وأن ننزل العقاب على من يستحقه، بغية للوصول إلى الفضيلة الإنسانية التي من خلالها نصبو إلى تحقيق التوادد والتعاطف الإنساني، لآن بهذه الصفات سنصل حتما حسبهم إلى مجتمع متوازن لا إفراط فيه ولا تفريط، أساسه السعادة الإنسانية.

إن قوانين الأخلاق لا تنفصل عن السياسة عند قدماء الصينيين، فأقوم الأخلاق ينتج أقوم السياسة وأحب أنواع الحكم، بل إن الحاكم لا يمكن أن يحمل الناس على الجادة من غير أن يحمل نفسه عليها، وإن الملك الذي يسوس الناس ونفسه على الأخلاق القويمة ينزل عليه غضب السماء وينزع منه الملك، فلا تسامح في قانون الأخلاق ولو كان الآثم ملكا. (زهرة، 1991، صفحة 75). إن المجتمع الصيني منذ القدم تسوده القيم الأخلاقية، والتي لا تنفصل عن ما هو سياسي، فالإنسان السوي أخلاقيا يكون أقومهم تسييرا وأجدرهم بممارسة السياسة و الحكم؛ لأنه هو المثل الأعلى فما ينطبق عليه ينطبق على كافة أفراد المجتمع، ومن لم يتحلى بالأخلاق فسينال جزاؤه بغضب الرب حسبهم، ويجرد من الحكم. فالجانب الأخلاقي خط أحمر لا يمكن لأحد تجاوزه، فبناء الفرد الحاكم الذي يسوس الجماعة لا بد أن يكون متشبعا بالقيم الأخلاقية، فالأخلاق عند الصينيين هي أساس كل الأفعال في المجتمع.

أما الفكر السياسي في المجتمع الصيني قبل كونفوشيوس، وعلى الرغم من ارتباطه الوثيق بالأخلاق، إلا أنه كان منغلقا على نفسه، فقد كان مشتقا كله من خبرة تقاليد ثقافية واحدة، وكان عملي، ونادرا ما نجد في دراسته أفكارا مجردة، وقد يكون مرجع هذه المشكلة الأساسية التي كان على الفكر السياسي الصيني أن يواجهها، وهي كيفية تحقيق النظام والاستقرار والأمن في عصور الاضطراب والفوضى والانحلال. (غالي و محمد، 1972، صفحة 24)

إن الفكر السياسي قبل كونفوشيوس كان فكرا عمليا تطبيقيا غير مرتبط بالمؤسسات الدينية؛ أي منفصل غاية الانفصال عن الدين، وكان غايته محاربة الآفات داخل المجتمع وتحقيق الأمن والاستقرار ومحاربة الرذيلة. وعلى هذه الوتيرة من التفكير، سار المجتمع الصيني ردحا من الزمان على هذه الأخلاق، التي تعنى أصلا بالحياة العملية، وبدرجة أقل كانت تهتم بالعلم والميتافيزيقية. (آرنولد، 1981، صفحة 218)

إن الحياة الصينية بشكل عام اعتمدت على الأخلاق العملية، التي كانت بلسما لكل مشاكل الصينيين بعيدا عن كل تنظير ميتافيزيقي. لكن جاء خلف من خلفهم لم يسلك طريق

الأخلاق، فسادت الرذيلة والانحلال الخلقي، والفقر المادي والانحطاط الديني. ومن خلال هذه الاضطرابات أخذ التفكير الفلسفي الحر يشق طريقه إلى الوجود، وخير دليل لودزه وكونفوشيوس. (الشهرستاني، 1968، صفحة 20). لقد عرف المجتمع الصيني ركودا وتقهقرا في كل المجالات سواء الأخلاقية والسياسية والاجتماعية، مما أدى إلى انتشار الفوضى والرذيلة وعدم احترام التعاليم الأخلاقية وقوانين المجتمع، ما مهد لظهور مظاهر البؤس والشقاء والفقر داخل المجتمع، وهذا ما حتم تدخل الحكماء والعقلاء من المفكرين والفلاسفة على غرار لودزه، وكونفوشيوس. فلودزه هذا المفكر الصيني الذي يرى بأن التفكير أمر عارض وسطحي، ولا خير فيه للجدل والمحاجة، يضر الحياة أكثر مما ينفعها ،أما الطريقة فيمكن الوصول إليها بنبذ العقل وجميع مشاغله، وبالالتجاء إلى حياة العزلة و التقشف و التأمل الهادئ في الطبيعة ،وليس العلم في رأي صاحب كتاب الفضيلة "فضيلة" بل السفلة قد زاد عددهم من يوم انتشر العلم، وليس العلم هو الحكمة؛ وذلك أنه لا شيء أبعد عن الرجل الحكيم من صاحب العقل (ديورانت، 1966، صفحة 166) يقصد لودزه بالتفكير العارض والسطحي التفكير النظري الميتافيزيقي؛ لأنه فيه مضرة لحياة الناس، وبالتالي وجب تجاوز التفكير النظري إلى الطريقة وهي العودة إلى الطبيعة والتأمل فيها، وقد وصف لودزه المشتغلين على التفكير النظري بالسفلة ،كما دعا إلى تثبيت الحكمة والعمل بها للتصدي لأصحاب العقول النظرية التي أفسدت المجتمع.

ومن آثار هذا التفكير النظري فسدت الحياة السياسية، وأصبحت شر أنواع الحكومات التي يمكن تصورها حكومة الفلاسفة؛ ذلك أنهم يقحمون النظريات في كل نظام طبيعي، وأكبر دليل على عجزهم هو إلقاء الخطب والإكثار من الآراء، وما ينتج عن حكم الفلاسفة هي كثرة النواهي والمحرمات في المملكة، والتي تزيد من فقر الناس، وبالتالي يزيد نظام الدولة اضطرابا، وكلما زاد ما يجيده الناس من أعمال الختل والحذق، زاد عدد ما يلجئون إليه من حيل، وبالتالي كثرة الشرائع والقوانين، وكثر عدد اللصوص وقطاع الطرق، وبالتالي يفسد المجتمع. (ديلون، 2018، صفحة 42)

إن إقحام النظريات في الفعل السياسي ينتج عنه ما يسمى بالحكومة الفاسدة، والتي تنصب الفيلسوف رئيسا لها. هذا القائد فاقد للغة الحوار والتهرب من المسؤولية، وتهديد السكان بالمحرمات والنواهي، هذا ما يسبب اختلال داخل المجتمع وحاد الناس عن القيم الأخلاقية في بناء المجتمع بإتباعهم الحيل، والأعمال غير الأخلاقية، وبالتالي يكثر عدد اللصوص والمفسدون ويحدث انهيار وفساد المجتمع. ولإصلاح ما أفسده حكم الفلاسفة وجب العودة إلى الطبيعة أو ما يسمى بالطريقة أو الدور، فقانون الطبيعة هو الذي ينظم سلوك الناس، والإنسان الصالح هو الذي يسلك نهج الحياة الطبيعية، فيأخذ الحكمة منها ويترك ما هو نظري.

إن أفكار لودزه لاقت استحسانا كبيرا من أفراد المجتمع الصيني ومفكريه؛ حيث تأثر بها كونفوشيوس أشد تأثرا. وقد كان لقاء كونفوشيوس به ليستشيره في بعض الأمور التاريخية فأجابه:إ ن الذين تسأل عنهم قد استحالوا هم و عظامهم ترابا، ولم تبقى إلا ألفاظهم، وإذا ما حانت ساعة الرجل العظيم قام من فوره وتولى القيادة، إن الرجل العظيم بسيط في أخلاقه رغم ما يقوم به من جلائل الأعمال، فتخلص من كبريائك و مطامعك وآمالك المفرطة . إن هذا كله لا يرفع من أخلاقك، وهذا ما أشير به عليك. (ديورانت، 1966، صفحة 33)

إن هذا اللقاء الذي جمع كونفوشيوس بأستاذه يعتبر بمثابة الطريق المعبد نحو إصلاح الفكر والمجتمع الصيني وفق التوصيات التي قدمها له لودزه الذي كان الخلق الكريم، والتواضع وحب الناس أساسا له، فالرجل العظيم القائد هو من يتواضع للناس ويتخلى عن مطامحه الشخصية وأنانيته، ليغلب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

إن هذا اللقاء الذي جمع كونفوشيوس بأستاذه قد أبان حقا عن مدى تأثره بأفكار أستاذه، وقد أفصح عن ذلك عند عودته لمريديه، حيث قال لهم على لسان ول ديورانت " ... إن الذي يجري على الأرض يمكن اقتناصه، والذي يسبح في البحر يمكن صيده، والذي يطير في الجو يمكن إصابته بالسهام، غير أن هذا الذي كنت عنده ولست أستطيع أن أقول كيف يركب الريح ويخترق بها السحاب ويعلو في الفضاء، لقد قابلت اليوم لو دزه لست أستطيع أن أجد له مثيلا غير التنين ". (ديورانت، 1966، صفحة 39)

3-الكتب الخمسة المؤثرة في كونفوشيوس (المتون العتيقة، ووتشنج)

إن التراث الصيني قبل كونفوشيوس يحتوي أساسا على خمسة مؤلفات كان يستعملها حكيم الصين في تثقيف مريديه وتطوير وتقوية معارفهم، وهذه الكتب هي: كتاب التاريخ، كتاب الأغاني أو الأناشيد، كتاب الطقوس، كتاب حوليات الربيع والخريف، كتاب التغيرات.

أ-كتاب التاريخ (الشو- جنج)

أهم وأرقى ما وجد كونفوشيوس في حكم الملوك الأولين، من الحوادث أو الأقاصيص التي تسمو بها الأخلاق، وتشرف الطباع؛ وذلك حين كانت الصين إمبراطورية موحدة. يتألف هذا الكتاب من عدد من البلاغات والتوجيهات والخطب وتقارير الشعوب. والكتاب سجل للأحاديث الهامة التي أدلى بها الحكام والحكماء في العهود المتأخرة. وتذكر الروايات أن كونفوشيوس قد كتب وثيقة توضح ظروف تأليفها. يتضمن ثمان وخمسين قطعة ولهذا الكتاب أهمية كبرى فهو يضم بين دفتيه أقدم الوثائق التاريخية، ويحتوي على منابع الحكمة التي أستمد منها كونفوشيوس آراءه. (شبل، دت، صفحات 35.34)

إن هذا الكتاب يغلب عليه الطابع التاريخي في الطرح؛ فهو يحمل في طياته العديد من أخبار الأمم والملوك، هذا إن دل فإنما يدل على اهتمام الصينيين بأخبار وتاريخ كل الأمم، لأن بناء

المجتمع ليس بتكريس الثقافة المحلية فقط، وإنما توظيف كل ما يخدم الأمة الصينية حتى من الثقافات الأخرى.

ب-كتاب الأغاني (الشي -جنج)

مختارات يتألف من حوالي ثلاث مائة بيت من الشعر، يرجع بها العهد إلى أوائل عصر أسرة "تشو". وبعض هذه الأشعار عبارة عن أغاني شعبية كانت شائعة في جهات الصين إبان عهدها الإقطاعي، ومن المتعارف أن كونفوشيوس قد تولى بنفسه اختيار هذه الأناشيد وتنقيحها وإعدادها للنشر.

ج- كتاب الطقوس(اللي-جي):

مجموعة من النصوص تناولت بالبحث مجالا واسعا من الموضوعات: منها الفلسفة العميقة، ومنها أنماط سلوك الحياة اليومية. (شبل، دت، صفحات 39.36)

إن كتاب الأغاني يحمل في طياته صبغة فنية محضة؛ لاحتوائه على الأشعار والأغاني التي تعبر عن ثقافة المجتمع الصيني، والإبداعات الفنية التي تعبر عن قيم وعادات كل منطقة في الصين. أما كتاب الطقوس فهو تعبير عن الحياة اليومية للأفراد والعلاقات التي تربط بينهم.

د- كتاب حوليات الربيع والخريف (التشو- شيو):

لقد قام كونفوشيوس بتسجيل كل الأحداث التي وقعت في إمارة "لو" خاصة منها الأحداث الاجتماعية والاقتصادية.

هـ- كتاب التغيرات (إي- جنج):

يتألف هذا الكتاب من فكرة الاتجاهات الخمسة: الشرق، الغرب، الشمال، الجنوب، الوسط وفكرة المواد الخمسة: الماء، النار، الخشب، المعدن، التراب، كما يفسر هذا الكتاب علوم ما وراء الطبيعة التي تنطبق على الطبيعة و عناصرها،حيث يرى الصينيون أن ظواهر الكون خاضعة إلى الين واليانج، فالأول يعني الاصطلاح القمري ويرمز له بخطوط متقطعة، والثاني يعني الأصل الشمسي ويرمز له بخطوط متصلة،كما يفسر هذا الكتاب حركات الكون وفق المتتاليات التي ترمز إلى العناصر الأساسية وهي: السماء ،الأرض، الرعد، الرياح، النار، الماء الجبال، المستنقعات. (جاوة، 2004، ص41)

إن كتاب التغيرات يعطي تفسيرا للحركة والسكون في هذا العالم وفق المتتاليات المذكورة سابقا، ووفق مبدأ التغير، هذا الأخير يعتبر بمثابة القوة الباطنية التي تجدد نفسها على الدوام.

4-اتجاهه الفلسفي العام:

لقد أسس كونفوشيوس لاتجاه فلسفي عام يفسر من خلاله جميع مظاهر الحياة في المجتمع الصيني، حيث قام بالتنظير لمجموعة من المبادئ والدعائم. نشأ كونفوشيوس في عصر

انحلال خلقي وفقر مادي وانحطاط ديني، حيث كان الأباطرة ضعافا وأمراء الولايات في حروب مستمرة، ولا هم لهم إلا جمع الضرائب من المزارعين. ونتج عن ذلك انتشار الثراء عند البعض والفقر المدقع عند البعض الآخر، فأختل التوازن الاقتصادي وظهرت الفوارق الشاسعة في الثروات بين أفراد المجتمع، ولهذا دعا كونفوشيوس بالعودة إلى حكمة الماضي كأصل لبناء الحاضر. (الشهرستاني، 1968، صفحة 20) إن كونفوشيوس بهذا الطرح يؤكد على دور التقاليد القديمة في حل مشاكل الصينيين، وهذا ما أكده نقلا عن رالف لينتون قوله "ربما كان في استطاعتي مقارنة نفسي بصديقي القديم ليوبنج، إذ أني أوضح التقاليد القديمة وأتبعها، ولكني لا أخترع شيئا جديدا، إني أحاول الوصول إلى الحقيقة ولا شيء غير ذلك، وأحب دراسة ما خلفه القدماء. (لينتون، 1961، صفحة 20). فهو بهذا القول يصف نفسه بأنه ناقل وغير مبدع، فهو ينقل كل ما تعلمه من الفكر الصيني؛ حيث يعلم مريديه فن الاستدلال ولا يعلمهم قواعد المنطق والقياس المنطقي، ويعلمهم أيضا كل ما ارتبط بالحياة الصينية، كما كان يتجنب الخوض في المواضيع الميتافيزيقية، وإنما تطبيق مبادئ الفلسفة على السلوك والحكم، وتجنب كل ما هو غامض، وهو ما ارتبط بالأمور الغيبية السماوية. وعليه كان اهتمام كونفوشيوس بإرساء تعاليم أخلاقية هدفها إصلاح المجتمع في كل المجالات، وذلك بالعودة إلى الفضيلة. ففلسفة كونفوشيوس هي فلسفة عملية تهتم بما هو واقعي وتبتعد عن كل ما هو نظري.

5-أثر الأخلاق الكونفوشيوسية في المجتمع الصيني:

لقد كان تأثير كونفوشيوس في الصينيين كبيرا وعميقا من الناحية الأخلاقية؛ وذلك من خلال توظيف القيم الأخلاقية التي وضعها كونفوشيوس في إصلاح ذوات الأفراد والمجتمع ككل، "لقد كانت عبقرية كونفوشيوس هي التي قلبت الكثير من المفردات في لغة الديانة البدائية إلى مفردات أخلاقية، وحولت تلك الديانة إلى نظام أخلاقي، وذلك مع انتقال المجتمع من الاهتمام بالفأل الحسن والسيئ، إلى الاهتمام بالصواب والخطأ. (بارندر، 1996، صفحة 321)

وقد اعتمدت المدارس الصينية التعاليم والقيم الكونفوشيوسية في المناهج الدراسية، وأصبحت تحفظ عن ظهر قلب من طرف الشباب. هذه التعاليم أكسبت الصينيين كرامة وأصبحت حياتهم يملؤها النظام والتناسق وحب الغير، وما زاد حب الصينيين لكونفوشيوس هو دعوته إلى إتاحة فرصة التعليم للعامة والبسطاء، ليكسر احتكار الموظفين والوجهاء للعلم، وكانت دعوته الشهيرة لأن يكون التعليم كالماء والهواء للمجتمع دون أي فروق طبقية. (كونفشيوس، 2000، صفحة 9)

لقد عمل كونفوشيوس على نشر العدالة الاجتماعية بين طبقات المجتمع، وزرع المحبة والكرامة بين أفراد المجتمع، والحفاظ على الكيان الروحي للمجتمع الصيني، وتكريس عقيدة التفاؤل التي تؤسس لكمال أخلاقي وسياسي وذلك بتوظيف العلم والتحصيل العلمي.

إن التعاليم الكونفوشيوسية أسست لثقافة السلم والهدوء داخل المجتمع، ما أكسب الحضارة الصينية القوة في مواجهة الاضطرابات الداخلية والخارجية، كما أكسبت الصينيين الفضيلة وحب الخير والجنوح الدائم نحو السلم والمصالحة.

لقد كان كان كونفوشيوس الأب الروحي للصينيين، بل مثالا يقتدي به لدى الشباب حيث غرس فيهم الفضيلة والحب وقيم الكرامة، وأصبحت أخلاقه بمثابة دستورا للصينيين. وعرف الصينيون أن اهتمام كونفوشيوس بالأخلاق لم يكن عبثا، بل إن بناء المجتمعات على أسس صحيحة يتطلب قاعدة أخلاقية متينة تؤسس لمجتمع متزن تزول فيه كل الفروق الفردية وتعم فيه الطمأنينة والرخاء والتطور.

6-التأثير السياسي لكونفوشيوس على المجتمع الصيني:

إن الحديث عن الأثر الذي تركه كونفوشيوس في الجانب السياسي، يقودنا حتما إلى الحديث عن مدى نجاعة أفكاره السياسية وتأثيراتها، وهذا في فترة حياته من جهة، وتطبيقاتها واستمراريتها بعد وفاته من جهة ثانوية. فأثناء فترة حياته أقام كونفوشيوس تصوره للدولة أو الحكومة المثالية على أرض الواقع، حينما تولى منصب كبير الوزراء في ولاية "لو"فقد طبق تلك المبادئ التي آمن بها، ولم تمض فترة طويلة على توليه الوزارة، حتى أصبحت ولاية "لو" نموذجا للولايات ذات التنظيم المثالي، فاختفى اللصوص وزالت السرقات، وأصبح التجار يبيعون تجارتهم بأمانة ونزاهة، كما أصبحت "لو" كعبة الزائرين من السياح الأجانب وأهل الولايات الأخرى الذين أصبحوا يعتبرونها كوطنهم الأصلي. (النشار، 1997، صفحة 85)

لقد كان كونفوشيوس محظوظا؛ وذلك من خلال لتطبيق ما يسمى بالحكومة الصالحة على أرض الواقع وبالضبط في مسقط رأسه "لو" وأصبح أهل "لو" متمسكين أكثر من أي وقت مضى بأفكار كونفوشيوس واستخدموها كطريق للوصول إلى الحكم والمناصب العامة حتى أصبحت أفكار كونفوشيوس بمثابة عقيدة عند الصينيين ومرجعا لا غنى عنه للعديد من المفكرين والساسة.

وقد وضع كونفوشيوس بعض الضوابط الأخلاقية التي يتحلى بها الحاكم، والتي ترتكز على احترام الآخرين؛ حيث يرى بأنه "يجب على الحاكم أن يتصف بالإخلاص والصدق، والوفاء بالعهود، وعدم تغليب رغباته الخاصة على الصالح العام، كما ينبغي أن يكون حي الضمير ذكيا وبارعا لا يكل ولا يمل رغم الصعوبات، فهو لا يهتم بالراتب بقدر ما يهتم بمسؤولياته. (الفتوح 2000، صفحة 142) كما أكد على دور الحكومة الصالحة التي تضمن سعادة أفرادها عن طريق حكم الفضيلة وحب الناس.

إن ما يمكن استنتاجه من خلال الآثار التي خلفتها الأفكار السياسية عند كونفوشيوس، هو إيمان المجتمع الصيني بالعودة إلى الشرعية السياسية القائمة على القيم السياسية

الكونفوشيوسية للتخلص من الفوضى والانحلال الأخلاقي في المراحل التي سبقت كونفوشيوس. لدى رأى الصينيون حكم كونفوشيوس لإمارة "لو"وتطبيق أفكاره السياسية ما هو إلا تجسيد للحق المدني والسياسي لكل أفراد المجتمع، فأصبح المواطن الصيني يتمتع بالحرية المدنية والسياسية، وأصبحت كل حقوقه مكفولة قانونيا، ووزعت الثروة توزيعا عادلا بين أفراد المجتمع، كما أصبح للفرد العادي الحق في تقلد المناصب السياسية والإدارية بعدما كانت حكرا رجالات الثروة. إن التنظير السياسي عند كونفوشيوس أعاد الطمأنينة للمواطن الصيني، وغرس فيه من جديد حب المجتمع والشعور بالمسؤولية اتجاه وطنه ومجتمعه، وصار كل فرد داخل المجتمع قدوته حاكمه الذي أثر فيه من خلال الاهتمام بالمصالح العامة والابتعاد عما هو شخصي؛ فالصيني في فترة حكم كونفوشيوس يرى فيه أنه هو حاميه وخادمه.

إن التعاليم السياسية التي جاء بها كونفوشيوس أعادت التعادل لميزان القيم، وبثت روح المسؤولية والكرامة في نفوس الصينيين، وأسست لمجتمع تشاركي يتساوى فيه أفراده في الحقوق والوجبات، ولهذا تمسك الصينيون بهذه الأفكار وأصبحت موضع إجلال واحترام يطبقونها في واقعهم ويعلمونها لأبنائهم، فازدهرت الصين في تلك الفترة وأصبحت مهدا للعديد من الحضارات.

7-أثر كونفوشيوس في المفكرين الصينيين:

أ-أثره في الكونفوشيين الأوائل:

إن التعاليم السياسية والأخلاقية الكونفوشية لم تمت بموت كونفوشيوس، بل تواصلت مع مريديه الذين عملوا على نشرها والمضي بها بعيدا، ويعتبر"منشيوس"و"هسون تسو" أهم طلبة الحكيم الصيني اللذان عملا على نشر أفكار أستاذهم نظرا للآثار التي خلفها فيهما هذا الفكر.

منشيوس (المعلم الثاني): لقد آمن برسالة كونفوشيوس الأخلاقية والسياسية وجميع معتقداته وآراءه وأفعاله؛ وبذلك يكون منشيوس المعلم الثاني بعد كونفوشيوس كما يلقب، حيث يظهر أثر كونفوشيوس في هذه الشخصية من خلال تأكيده واهتمامه بالمسؤوليات الأساسية للحكومة لجعل واجبها أولا تهتم بأعباء ورفاهية الأفراد داخل المجتمع، والتأكيد أيضا على تعلم الإنسان مراعاة أخلاقيات الأسرة والمجتمع. (Wilson, 1900,p30)

كما شدد منشيوس على أخلاق الفضيلة الإنسانية التي جاء بها وطبقها كونفوشيوس، وبذلك كان منشيوس فيلسوف أخلاق أكثر منه في المنطق والمعرفة أو ما بعد الطبيعة، فالبحوث الأخلاقية وسياسة الحكم أولى عنده من كل الأفكار؛ حيث كان أكبر همه أن يرسم منهجا للحياة الصالحة، ومتى وكيف يتولى خيار الناس مقاليد الحكم. (مرحبا و آخرون، دت، صفحة 121)

كما عارض على شاكلة أستاذه المبادئ العسكرية، ونبذ العنف والحروب، وأكد أن القواعد الأخلاقية هي من تحكم العلاقات بين الأمم لنبد الخلافات عن طريق العدالة والتحكيم لاعن طريق الحرب والصراع.

إن منشيوس حدا حدو أستاذه في التأكيد على دور الأخلاق والسياسة في بناء المجتمعات، وتأكيده أيضا على ثقافة السلم والمصالحة داخل المجتمع وبين المجتمعات والأمم.

هسون تسو: يعد ثالث عنصر في المدرسة الكونفوشية بعد كونفوشيوس ومنشيوس، حيث يبدي اهتماما كبيرا وتقديرا لمعلمه ويعتبر تعاليمه غاية في الكمال ويحث كل ميادين الحياة في المجتمع الصيني، مع الاحتفاظ بكل الطقوس والتقاليد داخل المجتمع الصيني، كما رفض فكرة الكائنات الخارقة للطبيعة، وكان عقلانيا. (هوخام، 2002، صفحة51)

الإنسان أهمية كبرى من خلال تهذيبه أخلاقيا، وتغيير حياته عن طريق العلم، والإبقاء على الطقوس التي كانت سائدة في المجتمع. وما يلاحظ أيضا أن فكر "تسو" هو الحرص على تطبيق الأفكار السياسية والأخلاقية في الواقع لأجل إصلاح المجتمع الصيني وهذا ما دعا له ما قبله، وهذا إن دل فإنما يدل مدى تأثر "هسون" بأساتذته وبعادات مجتمعه.

ب-أثره في الكونفوشيين الجدد:

لم تفقد الكونفوشية سيطرتها على المثقفين وأهل الفكر، وبقيت شرعيتها بالنسبة للمثقف يمثل جوهر الثقافة الصينية. ففي عهد أسرة "دونغ" نشأت مدرسة قوية للمدرسة الكونفوشية الجديدة، أضافت شروحا جديدة وتعليقات لا حصر على الكتب القديمة، وعملت على نشر أفكار كونفوشيوس.

-شاو يونغ (1011-1077):

كان له الأثر الكبير في تطوير الجانب المثالي للكونفوشية؛ حيث رفض جميع المناصب الحكومية مفضلا الاعتزال، كما قام بتطوير نظرياتها على النحو الرياضي عندما جعل الأعداد أساس الوجود، كما أظهر العلاقة بين البنية سماء أرض والمعرفة البشرية من خلال المشبكات السداسية التركيبية في كتاب التحولات. (آنشانغ، 2012، صفحة 527)

- الأخوان شانغ (شنج هاو 1032-1085، شنج آي1033 -1107)

أمضى الأخوان شانغ عقدا من الزمن لدراسة الطاوية والبودية قبل أن يعودا إلى الداو الكونفوشي. انصب اهتمامهما حول المثالية عند المعلم الأول وتأسيس مدرسة تدرس فكره (آنشانغ، 2012، صفحة527) ولكن ما يمكن التأكيد عليه، أن هؤلاء الفلاسفة الجدد هم أبرز من مثل الكونفوشية الجديدة، ولم ينقطعوا عن العودة إلى التراث الصيني القديم ليعطوه صبغة وقراءة جديدة بلورتها الأحداث المتعاقبة للمجتمع الصيني.

8-خاتمة:

لقد حاول كونفوشيوس غرس أفكار أخلاقية وسياسية جديدة في نفوس الصينيين، وكان أثره كبير على مجتمعه، خاصة أثناء توليه المسؤولية في فترة حكمه إمارة "لو"؛ حيث أرجع الفرد الصيني إلى الطريق الصحيح، وأسس لمجتمع قائم على العدالة الاجتماعية والفضيلة الأخلاقية والتأسيس لثقافة السلم والمصالحة لأبناء المجتمع الواحد ومع باقي المجتمعات الأخرى. كما كان مثاليا في أفكاره لما حملته هذه الأفكار من بعد إنساني، ونزعة محافظة. وكان واقعيا في أفكاره من جهة أخرى لما حملته هذه من حلول عملية للمشاكل اليومية للصينيين، وابتعاده عن البحث فيما وراء الطبيعة، وحصر همه الوحيد في كيفية إصلاح مجتمعه من الفوضى، كما أن أفكاره الفلسفية لم تنته بموته، بل استمرت عبر تاريخ الصين.

9-قائمة المصادر والمراجع:

أولا: قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية

1. كونفوشيوس، (2000)، المحاورات، ترجمة محسن سيد فرجاني، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
2. أبو زهرة محمد، (1991)، مقارنات الأديان، القاهرة، دار الفكر العربي.
3. آنشانغ، (2012)، تاريخ الفكر الصيني، ترجمة محمد حمود، بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
4. بارندر جفري، (1996)، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام و آخرون، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي.
5. توينبي أرنولد، (1981)، تاريخ البشرية،ت نقولا زيادة، بيروت لبنان: الأهلية للنشر والتوزيع .
6. جاوه خه ، (2004)، تاريخ تطور الفكر الصيني،ترجمة عبد العزيز محمد عبد العزيز، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة .
7. -ديلون مايكل، (2018)، مختصر تاريخ الصين، ترجمة نانسي محمد، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع.
8. ديورانت ول،(1966)،قصة الحضارة،ج4،ترجمة بدران محمد،القاهرة، مطبعة لجنة التأليف .
9. شبل محمد فؤاد، (دت)، حكمة الصين، ج1، القاهرة، دار الإتحاد العربي.
10. الشهرستاني، (1968)، الملل والنحل، ترجمة عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة، الإتحاد العربي للطباعة.
11. غالي بطرس، خيري محمد، (1972)، المدخل في علم السياسة، القاهرة: مكتبة أنجلو المصرية.
12. لينتون رالف، (1961)، شجرة الحضارة، ج3، ترجمة أحمد فخري، القاهرة، الأنجلو المصرية
13. مرحبا عبد الرحمان محمد، (دت)، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، بيروت لبنان، منشورات عويدات.
14. النشار مصطفى، (1997)، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، القاهرة، ط1، دار قباء.
15. هالة أحمد أبو الفتوح، (2000)، الأخلاق والسياسة الفاضلة عند كونفوشيوس، القاهرة، دار قباء.

16.هوخام هيلدا، (2002)، تاريخ الصين، ت اشرف كيلاني بيروت ،المجلس الأعلى للثقافة .

ثانيا-المراجع باللغة الأجنبية:

17. Epiphanius *Wilson,(1900), analects of confucius), trans. by William Jennings, James Legge, and John Francis Davis edition; London and New York: The Colonial Press.*